طالوت

في عشر آيات من النصر والتمكين

د. عماد سلمان حسن الفلاحي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

طالوت في عشر آيات من النصر والتمكين

الدكتور عماد سلمان حسن الفلاحي

Dr.emadslman@gmail.com

جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: { دلني على عمل يعدل الجهاد ، قال ﷺ : لا أجده قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر، قال: ومن يستطيع ذلك، قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له حسنات }[1]

[1] صحيح البخاري :٤/١٥ (٢٦٨٥)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[٣]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[٤].

أما بعد:

أن سرد قصص الأنبياء والأمم السابقة، والاحداث التاريخية، التي ذكرها الله ﷻ في القرآن الكريم لم تأتي من أجل ان تستعطف نفوسنا وثير فينا شجون الحزن والحنين وكأنها تحاكي وقائع درامية تنفع لتكون فلماً وثائقياً او مسلسلاً تلفزيونياً، وانما جاءت من اجل ترسيخ احكام وعقائد وفلسفة تصنع سلوكيات إسلامية واقعية فتصحح مفاهيم مغلوطة راسخة في اذهان البشر، فهي حكم وعبر تهدف إلى توجيه الناس وتذكيرهم بسنن الله في الخلق، وتثبيت قلوب قوم مؤمنين.

---

[٢] سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

[٣] سورة النساء: الآية: (١).

[٤] سورة الاحزاب: الآية: (٧٠،٧١)

فكل قارئ لسياق الآيات القرآنية وهي تروي احداث هذه القصص يلزمه ان يتلبس بأحداثها ويجعل نفسه هو احد ابطالها فيغوص في تفاصيلها وزواياها ، فهو المعني الأول والأخير بها دون غيره ، فانت احد أصحاب الجنتين وانت الشاهد على أصحاب السبت وانت مع جند سليمان ﷺ وانت رفيق موسى ﷺ في جداله لفرعون وانت اب الغلام الذي قتله الرجل الصالح وانت مع الاخوة الذي رموا حب ابيهم في غياهب الجب ، فانت المخاطب والمعني بها.

وكل هذه القصص تمر عليك يومياً لكن بأشخاص مختلفين وادوار مختلفة قليلاً، لكنها مطابقة تماماً في سياقها ومواقفها وعبرها ، فالتنظر يا رعاك الله اي الفرقين انت واي المواقف ستتبنى فيما قص الله ﷻ عليك من الذكر الحكيم قال ﷻ: ﴿ **كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا** ﴾[٥] عندها ستفهم مراد الله ﷻ من سياق هذه القصص في كتابه المقدس وسترى المغزى الحقيقي من ذكرها حيث كشف لك ولي وللعالمين الغاية والعبرة من سردها حين ختم بأية في احد اهم القصص القرآنية وهي قصة يوسف ﷺ قال تعالى ﷻ : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[٦].

وهذه القصص العجيبة الوارد ذكرها في كتاب الله لم تأتي على وتيره واحده فبعضها جاء بأحداث استمرت سنين وعقود وبعضها كان ليوم او يومين او اقل من ذلك بكثير فالأزمنة مختلفة ، والابطال مختلفون والمواقف مختلفة فانظر الى عجيب صنع الله ﷻ في قصة بطلها هدهد او نملة وربما عنكبوت او أي خلق من خلق الله ﷻ من شيطان الانس او الجن او رجال صالحون او أنبياء مرسلون ، فالغاية في

---

[٥] سورة طه الآية: (٩٩).

[٦] سورة يوسف: الآية (١١١).

تغيير احداث وشخوص هذه القصص هو لإعطائك المساحة الواسعة في التفكر والتدبر والاتعاظ ولتعلم ان غراب علم البشر سنة الدفن وان عنكبوت بنى بيته على وهن وان بقرة كشفت ملابسات جريمة غامضة وان أبناء اب واحد تنكروا لأخيهم فالقوه في ظلمات الجب ، واخرون نكثوا عهد ابيهم واقسموا ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغيرها كثير فكل قصة في كتاب الله ﷻ لها عنوان ولها هدف محدد ترمي وترشد اليه وهو اسقاط هذه الاحداث على يومك وعلى حياتك عندها ستجد التطابق العجيب في تشابه الاحداث ، فتأخذ انت الحكمة في اتخاذ القرار الصحيح لسلامة دينك ودنياك.

وهنا اذا نتكلم عن واحده من هذه القصص وهي قصة طالوت وجالوت والتي ورد ذكرها في كتاب الله ، فنحاول قدر المستطاع ان نفهم مراد الله ﷻ من سياق هذه الآيات متسلحين بأمهات كتب التفسير واقوال جهابذه العلم ، والمتدبر لسياق هذه الآيات يجد ان اكثر ما يلائمها مما اقره اهل التفسير هو بيان حقيقة الجهاد في سبيل الله من خلال اختيار القيادة الصالحة واختبار النوايا الصادقة والابتلاء عليها، والثبات في مواجهة الباطل ، والصبر عند اللقاء ومعرفة الأسباب الحقيقة المستجلبة للنصر والتمكين.

وكما اسلفت فأن القصة ورد ذكرها في سورة البقرة ، في عشر آيات نزلت قبل غزوة بدر، ليكون لها الأثر في نفوس المسلمين وإعدادهم معنوياً لمواجهة تشبه تلك التي مر بها طالوت وجنده ، وقد جاءت الاخبار تروي انه عدة جند طالوت كانوا كعده اهل بدر.

فقد روى البخاري بسنده عن البراء ﷺ قال: **{ كنا نتحدث: أن أصحاب بدر ثلاث مائة وبضعة عشر، بعدة أصحاب طالوت، الذين جاوزوا معه النهر، وما**

جاوز معه إلا مؤمن }[٧] ، وكما كان النصر حليف الفئة القليلة المؤمنة من أصحاب طالوت ، كان النصر حليف الفئة القليلة المؤمنة من أصحاب محمد ﷺ .

وسأعرض على القارئ الكريم عشر آيات متضمنه لقصة طالوت وجالوت فيها المراحل التي مر بها بنو إسرائيل في طلبهم للجهاد وكيف يمكن لك ان تستنبط منها دروس وعبر وعظات في معنى ان الجهاد الحقيقي بأنه اصطفاء من الله ﷻ وتشريف وليس كل من كبر وهلل وعلا صوته سمى نفسه مجاهداً في سبيل الله ﷻ ، وأن النصر بيد الله ﷻ للذين يحسنوا الصلة بالله ويعتصموا بعروته الوثقى ، فلابد من تمحيص الصفوف ليُخرج الخبيث من الطيب.

وسابين هذه المراحل على نقاط لعلها أن تنفع القارئ الكريم وتنفع خطباء المنابر والمحاضرين ليسهل عليهم حفظها ونشرها للناس:

أولا: قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[٨]

اول آية ذكرها الله ﷻ في هذه القصة هو تقرير حقيقة ان الموت والحياة بيده ﷻ وحده وان المقتحم لغمار تجربة الجهاد ان يجعل نصب عينيه هذه الحقيقة الخالدة التي قد تغيب عن كثير وتُنسى من اخرين ، فكنها كانت الاعتراف الاول بين العبد وربه ان هذه هي اول مراحل النصر، من خلال بيان قصة قوم كانوا حريصين على حياتهم فما اغنى عنهم حرصهم من الامر في شيء ، وهم قوم من اهل واسط ، وقع بهم الطاعون ، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية من قريتهم ، فهلك ممن بقي خلق كثير وسلم الآخرون ، فقال الذين بقوا لو صنعنا كما صنعوا لنجونا ولئن وقع

---

[٧] صحيح البخاري: ٥/٧٣ (٣٩٥٨).

[٨] سورة البقرة: الآية: (٢٤٣).

الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل فهربوا ، وهم بضعة وثلاثون ألفا ، فأماتهم الله جميعاً ، ومرت عليهم السنين حتى بليت اجسادهم ، فمر بهم نبي من انبياء الله فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ، فأوحى الله إليه: أن نادي فيهم : فنادى فيهم ، يا أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي، فقاموا[٩].

قال الحافظ ابن كثير: (وفي هذه القصة عبرة ودليل ، على أنه لن يغني حذر من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، فإن هؤلاء خرجوا فرارا من الوباء، طلباً لطول الحياة، فعوملوا بنقيض قصدهم ، وجاءهم الموت سريعاً في آن واحد)[١٠].

قال ﷻ : ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** ﴾[١١] فلا معنى للخوف في المواجهة لأنه أساس الانكسار والخذلان هو حرص الأنسان على الحياة في موضع تبذل فيه ، لذلك بدأ الله ﷻ بهذه الآية وجعلها مقدمة بين يدي المؤمنين من أمة محمد ﷺ لمن نادى بالجهاد وتغنى به [١٢].

ثانيا: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١٣]

بعد الاقرار بحتمية الموت بانه احد أهم الخيارات المتاحة فيمن ينادي بالجهاد لأعلاء كلمة الله ﷻ ان الموت والحياة والنصر والتمكين كله بيد الله ﷻ وحده ، جاءت الآية الثانية لتقرر فرضية الجهاد في سبيل الله ﷻ وانه فرض عين على كل

---

[٩] ينظر: جامع البيان للطبري: (٥/٢٧٠).

[١٠] انظر: تفسير القرآن العظيم لأبن كثير: (١/٥٠٢).

[١١] سورة آل عمران: الآية (١٤٥).

[١٢] المحرر الوجيز لابن عطية: ٢ / ٣٤٥.

[١٣] سورة البقرة: الآية: (٢٤٤).

الامم السابقة وعلى امة النبي ﷺ لمن ينشُد العلو في الارض ، قال الامام الشَّافِعِي رحمه الله : (ففرض الله ﷻ عليهم الجهاد ، بعد إذ كان إباحة لا فرضاً)[١٤].

ولتعلم أن علة المسلمين اليوم هو الرضى بالحياة الدنيا والاطمئنان بها ، والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة والهدوء الزائد ، فلا يقلقهم فساد ، ولا يزعجهم انحراف ، ولا يهيجهم منكر ، والذي ينسى الجهاد المقدس[١٥] ولم ينادي به مات على النفاق فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **{ من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق }**[١٦].

ثالثا: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[١٧]

قال أبو جعفر: هو الذي ينفق في سبيل الله ، فيعين مضعفاً ، أو يقوي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله ، ويعطي منهم مقتراً وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه[١٨] ، فكأن الانفاق هو الة الجهاد ومادته فكيف يكون حمل الناس على الجهاد دون مال ، فمنهم من جاء بنفسه ومنهم من جاء بماله ، ولك خير مثال فيما رواه البخاري في مناقب عثمان بن عفان ﷺ **{ قال النبي ﷺ : من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان، وقال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان }**[١٩] ، فصار مناسباً ايراد الآية في هذا السياق.

---

[١٤] انظر: تفسير الإمام الشافعي: (٤٢٣/١).

[١٥] ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها لعبد الرحمن حَبَنَّكَة الدمشقي (٦٩٨/١).

[١٦] صحيح مسلم (١٩١٠).

[١٧] سورة البقرة: الآية: (٢٤٥).

[١٨] جامع البيان للطبري: (٢٨٢/٥).

[١٩] صحيح البخاري: ١٣/٥ (٣٦٩٥).

رابعا: قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[٢٠]

هذه الآية جاءت لتبين فلسفة التناقض عند بعض طالبي التغيير فكل الذين يطلبون بالتغيير يلزمهم اعداد العدة للموجهة ، وكل مواجهة قد يكون الانكسار أحد النتائج فلا يتبرم من مشى في طريق اثبات الحق ان تكون الخسارة المادية أو الجسدية هي النتيجة ، وهذا يشمل اصحاب الكلمة المسموعة والدعوة الصادقة الى الله ﷻ في تغيير المجتمع والامة والذي يقبع كثير منهم في السجون او المقابر فما عليك الا الاذان وعلى الله البلاغ .

قال الشاعر:

البائعين نفوسهم لله في ❁❁❁ سوق الجهاد بجنة الإنعام

السافكين دماءهم لحياتهم ❁❁❁ فجرت بترتبهم كسيل طامي[٢١]

وقد ضرب الله ﷻ مثلا في حال اقوام فضلوا السلامة على ملاقه عدوهم خشية الموت قال ﷻ **﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾**[٢٢] فانظر الى من قرن

---

[٢٠] سورة البقرة: الآية: (٢٤٦).

[٢١] ديوان محمد العيد آل خليفة : (٣٤/٢).

[٢٢] سورة النساء: الآية (٧٣).

غايته بالنتيجة فان لم تتحقق حمد الله ﷻ انه ليس معهم وان ضفر المسلمون تمنى لو كان معهم وهذه هي اول مقدمات الانكسار.

وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيها إشارة الى ضرورة النظر والاعتبار فيما سياتي ذكره ، في قصة قوم ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ طلبوا من نبيهم ان يختار لهم ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ أميرًا وقائدًا يقودهم إلى الجهاد إذ لا بد للقتال من قائد، وقتالنا هذا هو لله ﷻ ﴿ نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فكان الاختبار الاول في كشف صدق النوايا ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ وفيه تثبت ان يكون الكلام مجرد رغبة دون فعل ، ثم تزول بعد ذلك وتتلاشى مع أول اختبار أو مواجهة ، فكأن جواب نبيهم قد اصابهم بالصدمة ، ونبههم الى ضرورة ان يراجعوا صدق نواياهم ، لذلك اجابوا مستغربين ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ ، وقد كان ذلك حق فيهم ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ فانظر إلى هذا التحوُّل وهذا التراجع بالتولي عن الزحف فسقطت اقنعة الكثير وبان لأنفسهم كذب ادعائهم فكانت هذه التصفية الأولى ، فانظر هداني الله واياك ان معرفة الطريق ليست كالسير عليه .

خامسا: قوله ﷻ : **﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾**[٢٣].

ثم جاءت الآية الخامسة لتبين ألية الولاء والبراء في اختيار القيادة والانصياع تحت امرتها ، فلما ان اختار لهم نبيهم رجلا منهم كما طلبوا نكص فريق منهم على اعقابهم ، وسبب ذلك أنَّ النبوَّة كانت مخصوصةً بسبط معيَّن من أسباط بني

---

[٢٣] سورة البقرة: الآية: (٢٤٧).

إسرائيل، وهم سبط لاوي بن يعقوب ، ومنه مُوسَى وهارون وسبط المملكة سبط يَهُوذا ، ومنه دَاوُدُ وسُلَيْمَانُ اما طَالُوت[٢٤] فلم يكن من أحد هذين السِّبطين، بل كان من ولد بِنْيَامِين لذلك أنكروا كونه ملكاً عليهم ، وزعموا أنَّهم أحقُّ بالملك منه ، ثمَّ أكدوا هذه الشُّبهة بشبهة أخرى وهي قولهم: ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَال ﴾ بأنه فقير، وهذا هو داء عظيم ان يُختار للرئاسة من هو غني وصاحب جاه دون النضر الى امكانياته القيادية او الفكرية او حتى الدينية وهي كما قيل (الغباء ليس عائقاً في السياسة) ، والساحة أخي القارئ الكريم امامك مفتوحه اختر منها ما شأت وفي أي بلد من بلاد المسلمين من نماذج قادت بلدان وثورات وحروب اهلكت فيها الحرث والنسل ، بسبب فقدان هذه الزعامات لأبسط مقومات القيادة ، واليوم يحذوا الناس على خطى بني اسرائيل في اختيار القادة الاغنياء ذوي النفوذ اصحابي الاقوال دون الافعال الذين ينادون بكل الشعارات والرايات من اجل الاستئثار بالكراسي والمناصب عن طريق الانقلابات والثورات التي تخسف بأمن البلاد وتضيع مصالح الناس فضلا عن ازهاق ارواحهم ليس من اجل التحرير او التغيير كما يزعمون بل من اجل الكراسي ومأثر السلطة ، وهي كما قال ﷺ: { إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة }[٢٥] ، ثم انظر الى جميل اختيار الله ﷻ في تقييد صفات القائد بصفتين عظمتين هما العلم والجسم .

---

[٢٤] أنه مشتقٌّ من الطول، ووزنه فعلوت كرهبوت ورحموت، وأصله طولوت، فقلبت الواو ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، وكأن الحامل لهذا القائل بهذا القول ما روي في القصَّة أنه كان أطول رجلٍ في زمانه/ ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي: (٢٦٨/٤).

[٢٥] صحيح البخاري: ٦٣/٩ (٧١٤٨).

سادسا: قوله ﷻ : ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[٢٦]

دلت هذه الآية على أن فيها حذفاً واختصاراً كأنهم قالوا: ما آية ملكه وما علامته ، فقال: آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة ، وهذا التابوت كان عندهم من عهد موسى ﷺ وهارون ، فسلبهم إياه ملوك من أهل الكفر، فجعل الله رده عليهم آية لملك طالوت[٢٧] فبين لهم نبيهم صدق الاختيار بدلالة ما جاء مع طالوت من الآيات التي فيها دلالة واضحة يشاهدونها ويلمسونها بأيديهم ، فلا حجة لهم بعد ذلك، فمن بقي فهو مؤمن مواصلا الطريق معهم .

سابعا: قال ﷻ : ﴿ **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾

قال ابن عباس وكثير من المفسرين: هذا النهر هو نهر الأردن فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا النهر كما أمره نبيهم وهو مما اوحى الله ﷻ اليه ، كان اختباراً وامتحاناً أن من شرب من هذا النهر فلا يصحبني في هذه الغزوة ، إلا غرفة بيده[٢٨].

---

[٢٦] سورة البقرة: الآية: (٢٤٨).

[٢٧] ينظر: الهداية في بلوغ النهاية لابن مختار الاندلسي: (٨٢١/١).

[٢٨] ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير: (٢٦٠/٢).

ورب سائل يسئل ما حاجة منعهم من شرب الماء في حر الصيف وهم احوج ما يكونون اليه من زيادة القوة البدنية لملاقاة عدوهم ، وجواب ذلك أن هذا تمحيص آخر لصفوف المؤمنين لمن يستحق منهم شرف الجهاد .

فالنصر ينزل والهداية تحصل بامتثال أوامر الله ﷻ ، فمن قدم أوامر الله على شهواته فاز ونُصر، ومن قدم شهواته على أوامر الله ﷻ خسر وحُرِم كما شرب أكثر جيش طالوت من النهر ، الشرب المنهي عنه فحُرموا الخير ورجعوا على أعقابهم، ونكصوا عن قتال عدوهم ، وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيطول وتحصل به المشقة الكبيرة ، وكان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلاً على الله وثباتاً وتضرعاً إليه، فقعد من شرب كثيراً، وسار مع طالوت من اغترف غرفة بيده[٢٩].

فكم من فتن الدنيا انت منهي على ان تردها وتشرب من حوضها البائس فكم من اهل الاسلام من شرب واغترف وزلة قدمه بعد ثبوتها ، منهم من خان الامانة ومنهم من قاتل اخيه على لعاعة من الدنيا ومنهم من ظلم اهله واذى جيرانه ومنهم من ضيع امة بتحريف افكارهم ودينهم ومعتقداهم وهذا كله باسم الدين ، وغيرهم كثير ، ومنهم من استعصم بحبل الله ﷻ ونهى النفس عن الهوى .

ثامنا: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[٣٠].

هنا اظهر الصابرون سلاحهم البتار الذي به النصر والتمكين وهو حسن التوكل وطيب الدعاء ، وقد ابدع ابن القيم في وصف قوة هذا الحال حين قال:

---

[٢٩] موسوعة فقه القلوب للتويجري: (٣/٢٤٩٧).

[٣٠] سورة البقرة: الآية: (٢٥٠).

والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: الاول: أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيدا، والثاني أن يكون الساعد قوياً ، فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل ، فكيف إذا عدم الأمران جميعا يكون القلب خراباً من التوحيد ، والتوكل ، والتقوى ، والتوجه ، ولا سلاح له[٣١]، فالدعاء بقلب حاضر ونفس ثابتة مع شدة الاضطرار يُستجاب له بأذن الله ﷻ قال ﷻ ﴿ **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[٣٢]

تاسعا: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٣٣].

تلك كانت ثمرة هذه الرحلة الطويلة من الصبر والمصابرة وكأنها نهاية حتمية لصفوة من خيار خلق الله ﷻ في صدق نيتهم وحسن توكلهم وشدة صبرهم ، وانظر رحمك الله الى كل تلك المسيرة مع كل ذلك الصبر ، احتاج في آخره لاذن الله ﷻ بالنصر ، قال ابن القيم رحمه الله : وإذنه هاهنا هو الإذن الكوني القدري أي بمشيئته وقضائه وقدره وليس هو الإذن الشرعي الذي بمعنى الأمر فإن ذلك لا يستلزم الهزيمة بخلاف إذنه الكوني وأمره الكوني فإن المأمور المكون لا يتخلف عنه البتة[٣٤].

---

[٣١] ينظر: زاد المعاد لابن قيم: (٦٢/٤).

[٣٢] سورة النمل: الآية (٦٢).

[٣٣] سورة البقرة: الآية: (٢٥١).

[٣٤] ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم: (٦٣/١).

فالأسباب ليست هي التي تنشئ النتائج فالفاعل المؤثر هو الله ﷻ ، والله ﷻ يرتب النتائج على الأسباب بقدره ومشيئته ، ومن ثم يطلب إلى الإنسان أن يؤدي واجبه وأن يبذل جهده ، وأن يفي بالتزامه وبقدر ما يوفي بذلك كله يرتب الله النتائج ويحققها ، وهكذا تظل النتائج والعواقب متعلقة بمشيئة الله وقدره ، هو وحده الذي يأذن لها بالوجود حين يشاء وكيفما يشاء ، وهكذا يتوازن تصور المسلم وعمله ، فهو يعمل ويبذل ما في وسعه وهو يتعلق في نتيجة عمله وجهده بقدر الله ﷻ ومشيئته ، وهي الحقيقة الكلية المطلقة في هذا الوجود ، حيث لا قوة إلا قوة الله ، ولا قدرة إلا قدرته ، ولا مشيئة إلا مشيئته[٣٥].

عاشرا: قال تعالى ﷻ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٣٦] .

فلولا شرع الله ﷻ في قِتال الظَّلَمة والمشركين لفسدت الأرض باستعلاء الكفر وانتشار الظلم ، والله تعالى لا يرضى بالظلم ، بل شرع دفع الظلم ومقاومة الظالمين ، لمنع ظلمهم وردع تلك الانفس المريضة التي ادمنت سفك الدماء وتخريب البلاد ، ولا بد من مقاومة الفساد وإزالته من أجل إصلاح الحياة لجميع البشر مؤمنين وغير مؤمنين ، إنها سنة المدافعة ، فماذا لو لم يتم قتل جالوت هذا الكافر العنيد المتجبر الظالم ، كان قطعاً سيعيث في الارض فساداً ، فانظر الى ثمرة الجهاد انها تجتث كل شجرة خبيثة من فوق الارض فما يبقى لها من قرار .

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾[٣٧]

---

[٣٥] ينظر بتصرف: الأحكام الشرعية للثورات العربية لعلي بن نايف الشحود: (٣٣٨/١).

[٣٦] سورة البقرة: الآية : (٢٥٢).

فالذين يحاربون المسلمين وغيرهم في دار الإسلام، بالتعدي وسلب المال ، وقطع الطريق بتخويف المارّة والاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض أَنْ يُقَتَّلُوا بالمبالغة في القتل لإرهاب المفسدين أَوْ يُصَلَّبُوا بالمبالغة في الصلب، والصلب في رأي الشافعي وأحمد: يكون بعد القتل ثلاثة أيام، بأن يربط على خشبة ونحوها منتصب القامة ممدود اليدين[٣٨].

فاعلم أن المحارب الذي يقطع الطريق، ويخيف السبيل، ذكر الله أن جزاءه واحدة من أربع خلال هي: أن يقتلوا، أو يصلبوا، أو تقطع أيديهم، وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض، وظاهر هذه الآية الكريمة: أن الإمام مخير فيها، يفعل ما شاء منها بالمحارب، كما هو مدلول، أو لأنها تدل على التخيير[٣٩].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[٤٠]

---

[٣٧] سورة المائدة: (٣٣).

[٣٨] التفسير المنير لوهبة الزحيلي: (١٦١/٦).

[٣٩] ينظر: اضواء البيان للشنقيطي: (٣٩٣/١).

[٤٠] سورة نوح: الآية: (٢٨/٢٧/٢٦)

المصادر:

١. القرآن الكريم.
٢. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير – الاستِشراق – الاستعمار ، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري) لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى : ١٤٢٥هـ)، الناشر : دار القلم – دمشق، الطبعة : الثامنة ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ .
٤. تفسير الإمام الشافعي لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م .
٥. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.
٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

٧. جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
٩. ديوان محمد العيد آل خليفة/ المؤلف: محمد العيد بن محمد علي خليفة (ت ١٣٩٩هـ)/ الناشر: دار الهدى، عين مليلة – الجزائر عام النشر: ٢٠١٠م.
١٠. زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
١١. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: –، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان،الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
١٢. قصص الأنبياء لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
١٣. اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، شارك في التحقيق: حمد سعد رمضان (أطروحة دكتوراة من سورة

مريم آية (٥٩)، إلى آخر سورة القصص)، محمد المتولي الدسوقي (أطروحة دكتوراة من سورة العنكبوت إلى آخر سورة القمر)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م.

١٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد / الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

١٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦. موسوعة فقه القلوب لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية.

١٧. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.